النقد الجليل للعتب الجميل

تأليف
الشيخ العلامة / أبي إسحاق ابراهيم اطفيش

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

النقد الجليل للعتب الجميل

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

نشر وتوزيع

مكتبة الضامري للنشر والتوزيع

السيب - سلطنة عمان

ص.ب ٢ الرمز البريدي ١٢١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

الحمد لله الذي يهب الفضل والعطاء لمن يختصه من خلقه ويشاء والصلاة والسلام على الرسول المبين والصادق الأمين وقائد الغر المبجلين محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين.

وبعد:

أخي القارىء الكريم: يسعدني غاية السرور أن أقدم هذا الكتيب، الصغير في أوراقه، العظيم في مضمونه إلى كل من اتخذ الله ربا ومحمداً نبيا والاسلام ديناً والقرآن هادياً ودليلاً، والذي يحمل في طياته بيان نهج أهل الإستقامة وإلتزامهم بكتاب الله

الخالد وسنة نبيه الماجد.

ولا أظن مؤلف هذا الكتيب على القارىء بغريب وعن أعماله ببعيد، وإلا فإن لم تكن تعرفه فهو الشيخ المجاهد والعلامة المحقق والسياسي المحنك والداعية الكبير ابو اسحاق ابراهيم أطفيش، عرفه أبناء الاسلام بحبه لدينه وذوده عن حياضه، كما عرفه الإسلام بصلابته وقوة جأشه، وكم دعا شيخنا للوحدة الإسلامية ورأب الصدع ولم الشمل، ولكن هل من مجيب؟

وشيخنا هذا أحد رواد الفكر الإسلامي الذين اثروا المكتبة الاسلامية بمؤلفاتهم، علماً بأن فعله قد سبق قلمه وقوله، لذا رأت إدارة مكتبة الضامري للنشر والتوزيع أن تقوم بنشر جميع أعمال الشيخ إبراهيم أطفيش، ولهذا نهيب بقرائنا الكرام على التعاون لجمع كل كلمة خطها الشيخ ـ رحمه

الله ـ داعين الله تعالى بالتوفيق إلى نهج ذلكم المنهج السديد إنه تعالى ولينا وهو الهادي إلى سواء السبيل

الناشر

أبو إسحاق إبراهيم أطفيش

(1886 - 1965)

بقلم : محمد صالح ناصر

ولد ببلدة بني يزقن من قرى ميزاب في أحضان عائلة متدينة كريمة ، خرّجت للعالم الإسلامي عالما فذا من علماء الجزائر وهو عمه قطب الأئمة الحاج محمد بن يوسف أطفيش (1914) .

أتم ابراهيم حفظ القرآن في الحادية عشرة من عمره ثم أكب على مختلف العلوم العربية والشرعية وكان من أبرز معلميه في هذه المرحلة عمه القطب الشيخ أطفيش في ميزاب ، والعالم المصلح الشيخ عبد القادر المجاوي في العاصمة .

وفي سنة 1917 تاقت نفسه الى الاستزادة من العلم فيمم تونس ضمن بعثة علمية فانخرط ضمن طلاب جامع الزيتونة فكان مثار اعجاب أساتذته ذكاء وأخلاقا وسعة علم . وما لبث أن استهوته السياسة بأجوائها الحماسية فكان عضواً بارزاً في الحزب الحر الدستوري مع زملائه المشايخ الآخرين بالبعثة التي كانوا يترأسونها ومن بينهم ، أبو اليقظان والثميني والشيخ صالح بن يحي ، وربطته

بالشيخ الثعالبي منذ هذا التاريخ رابطة الاخوة والصداقة الحميمة .

وعرف أبو اسحاق في الأوساط السياسية والثقافية بتونس بكرهه الشديد للاستعمار الفرنسي الذي نفاه من أجل ذلك الى تونس من الجزائر ، وكما عرف بنشاطه الدائب وحماسته الملتهبة ومواقفه الوطنية المعلنة ، فما لبث من أجل ذلك كله أن جاءه قرار النفي والأبعاد من السلطات الفرنسية على أن يختار لنفسه أي بلد يشاء ، فاختار مصر ووصلها في 23 فيفري من سنة 1923 وهي نفس الفترة التي نفي فيها الأمير خالد الذي تربطه بأبي اسحاق صلات العمل الوطني .

ووجد في مصر أما وفي المصريين أخوانا وعرف من بينهم مشايخ أجلاء وعلماء فطّاحل ما لبث أن سبح في أجوائهم عاملا متعلما ، مفيدا ومستفيدا ، فكان من أعز أصدقائه الداعية الاسلامي محب الدين الخطيب ، صاحب مجلة (الفتح) ومدت له مطبعته السلفية يد المساعدة فأبرز الى الوجود مجلة (المنهاج) وذلك في أول محرم 1344هـ . الموافق 1925م . فكانت المنهاج من أشد المجلات العربية لهجة على الاستعمار الفرنسي تكشف سوآته ومخازيه المطبقة في الجزائر بخاصة ، والمغرب الإسلامي بعامة . غير أن الظروف المادية القاسية التي عرفها أبو اسحاق لم تساعده على الاستمرار في الميدان الصحفي طويلاً اذ ما لبثت هذه المجلة أن توقفت وتنازل عن رخصتها لصديقه محب الدين الخطيب حوالي 1930 . وكان أبو اسحاق في هذه الأثناء منكبا على ابراز

التراث الفقهي القيّم الذي تركه عمه (القطب) فأخرج بسعيه وتضحيته الكثير من تلك المؤلفات ، ولعل من أبرزها (شرح النيل) الموسوعة الفقهية القيمة . والتحق في سنة 1930 بدار الكتب المصرية مصححا فكان المرجع لكثير من المشاكل اللغوية والشرعية ، وشارك في تصحيح وتحقيق بعض النفائس الإسلامية مثل (تفسير القرطبي) و (نهاية الأرب) في أجزائه الأخيرة .

واختير في أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات ليكون ممثلا للامام غالب بن علي في هيأة الأمم المتحدة حيث كانت قضية عمان معروضة على المحفل الدولي فأبدى نشاطاً كبيراً وحنكة سياسية ناجحة .

ومازال ذلك دأبه مجاهدا مخلصا في سبيل العروبة والإسلام داعيا الى وحدة المسلمين في الندوات والملتقيات والصحف . الى أن توفاه الله بالقاهرة التي احتضنته أكثر من أربعين سنة ، وذلك يوم 20 شعبان 1385هـ الموافق لـ 26 ديسمبر 1965م .

يمتاز أبو اسحاق بشخصية قوية تطالع القارىء من خلال كتاباته النثرية مقالات وخطبا ويدل في تحليله للأوضاع والقضايا على سعة في المعرفة واطلاع جم على الأحداث ، ومواكبة حيّة لتطوراتها ولا سيما في المجالين السياسي والاجتماعي .

وقد عرّفه الشيخ أحمد توفيق المدني الذي آخاه ، وصادقه طويلا . سواء في تونس أم في القاهرة . حيث يقول :

«وأما الشيخ ابراهيم أطفيش فقد كان رحمه الله عالما لا يشق له غبار وشخصية عالية جديرة بالاحترام والاعتبار ، ورث من

جـده[1] الكريم صيت العلم ورحـابـة العمـل . وفخـامـة المركـز الاجتماعي واكتسب بجده وكفاحه المتواصل علما واسعا وأدبا رفيعا وثقافة عالية يغبط عليها ، وكان رحمه الله صارمـاً في دينـه تنتقـد عليه شدته وقسوته في أمور الحلال والحرام ، حتى أنـه يحرم كثيرا من المحدثات لمجرد ظن أو شبهة ، وكان محجاجا حاضر البديهة ، قوي العارضة .

رأيته من بعد في مصر يتألق لمعانـا بين علمـائهـا ومفكريهـا ، يدفع بـالتي هي أخشن لا بـالتي هي أحسن ويحبـه القوم من أجل ذلك وتزداد مكانته في نقوسهم[2]» .

☆ من آثاره الأدبية :

- مجموعة مقالات نشر أغلبها في مجلته المنهاج .
- الدعاية الى سبيل المؤمنين ، القاهرة 1923 .

☆ ومن آثـاره المخطوطـة التي لم تر النور الى يومنـا هـذا لـلأسف الشديد .

1 - تأويل المتشابه ،
2 - صلاة السفر .
3 - منهاج السلامة فيما عليه أهل الاستقامة .
4 - تفسير الفاتحة .
5 - تاريخ الاباضية .
6 - الفنون الحربية في الكتاب والسنة .

---

(1) حياة حياة كفاح ، ج 1 ، ص ، 156 .

(2) الواقع أنه عمه وليس جده .

7 – عصمة الأنبياء والرسل .

8 – شرح الملاحن .

9 – مختصر الأصول والفقه للمدارس .

10 – كتاب النقض .

هذا عدا مجهوداته الفعالة في تحقيق بعض المؤلفات الفقهية الهامة . نذكر منها ، شرح النيل ، شامل الأصل والفرع – الذهب الخالص – شرح مقدمة التوحيد – كتاب الرسم – كتاب الملاحن – كتاب الوضع – كتاب جوهر النظام – تحفة الأعيان في سيرة أهل عمان – جامع أركان الإسلام لسيف بن ناصر الخروصي ...

المصادر والمراجع :

– بو راس عبد الله الكاملي ، أبو اسحاق إبراهيم أطفيش ، قسنطينة 1966 .

– أبو اليقظان ابراهيم ، ملحق السير الصفحات (145 – 149) (مخطوط) .

– محمد ناصر الشيخ إبراهيم أطفيش في جهاده الإسلامي

– مجموعة المنهاج . (1925 – 1929) .

بيـــان

هذه نبـذة مخلص في نقـد كتـاب العتب الجميـل ورد ما نسبه إلى أهل الاستقامة من رجال السلف بطريقة لاتعسف فيها ولامجازة بجنس العمـل، عسى مؤلف العتب أن يثوب إلى رشده ، ولايختم حياته بعمل مناف للحق .

حررناها في ليـلة واحدة ثم نقحنـاها أثناء الطبع وأضفنا إليها نتفاً، أرجو عدم المؤاخذة بالاختصار . وموعدنا بالبسط في المستقبل إن سمحت المقـادير . نســأل الله التوفيق لخدمة الحق وإرشاد الخلق .

إبراهيم أطفيش

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على إنعامه وإكماله . حمداً يليق بجلاله وكماله .

اعترافاً بفضله ونواله . الذي وفق وهدى . وأرشد إلى الذب على الطريقة المثلى . ونصلي ونسلم على من قال «إن حقاً على المؤمنين أن يتوجع بعضهم لبعض كما يألم الجسد الرأس» أو كما قال . سيدنا محمد أفضل من سعد وأسعد وأنال . وعلى آله وأصحابه الذين تحروا رشداً ففازوا في الحال والمئال .

وبعد فإني لم أزل أرى كثيراً من المسلمين على طريقة الغلو والطعن فيمن يخالفهم مذهباً

ويبـالغـون في النقد بلهجـة شـديدة وتحامل عجيب كأنهـم يعبـدون الله بالفحش والقول الزور، ولم يبالوا بما يحدثون من الفتن والقطيعة بين الأمة الإسلامية التي هي اليوم كفتات اللحوم توافيها الجوارح بالالتقاط،أو كقطيع من الظبـا تائهة في بيداء تنقض عليها الكلاب المكلبة فتحشرها لأربابها .

ولايبالون بما يؤاخذون به من الحكم جهلاً وعدواناً كأنهـم لايجمعـون بـين يدي الواحد القهار يوم يلزم كل منهم طائره في عنقه ويخرج له كتابه منشوراً . بل يتهجمون بالقدح شهوة وينتصرون لأهوائهم تعصباً،وإذا ما انقطعت حجتهـم عمـدوا إلى أقوال أنـاس لايعتـد بكلامهم ولاتؤمن فلتاتهم ولايرقبون خالقهم فيحتجـون بهـا ، بل يلتمسـون من مطـاوي

الكلام ومناهج التأويل ما عساهم أن يجدوه سهماً يوجهونه إلى صدر مخالفيهم ، ما سلك هؤلاء سبيلاً مستقيماً . ولاتحروا صدقاً ، ولاقصدوا إفادة وخدمة للعلم ولكنهم يرومون شهوة خفية ، وخدمة أعداء الإسلام وعبدة الطاغوت . أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل .

لم تزل هذه الأمة التي هي خير أمة أخرجت للناس تنكب من المنتسبين إليها وتصاب في مقاتلها من زاعمي حمايتها والذب عن حماها .

مضى عليها قرون وهي تتخبط في الويلات التي جرها لها الجانون وتتسكع في الظلماء التي رماها فيها الخائنون فها هي ذي اليوم تقاسي عواقب تلك الفئة الخاسرة وتنكب بآثار تلك

الأيام المظلمة . فهل انتبه المسلمون ؟ كلا .

يظن العاقل أنه لايوجد الآن من أفراد الأمة من يجول فكره حول كتابة شيء ضد فرقة إسلامية أو إثارة تلك النكبات التاريخية التي تدمي القلب وتدمع العين ويأسف لوقوعها كل غيور أدرك ما حل في العصر الحاضر بأمته .

لكن مع الأسف العميق ما فتئت كتابتهم تظهر، واتباعهم تنعق،وطريقتهم تنهج،دون أن يتبصروا أو يتعظوا :

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

اجتماع المؤلف بالطاعن

طالعت لبعض غلاة الشيعة الأستاذ محمد بن عقيل العلوي بسنغفورة ــ وبيننا وبينه

[الحج آية ٤٦]

صداقة كنا اجتمعنا به في القاهرة إباز حضورنا إليها سنة ١٣٤١هـ وتهادينا التحية وكنا نعتقد فيه الاعتدال والبعد عن الغلو ــ كتاباً في الجرح والتعديل كانت لهجته بالغة نهايةالتعسف بعيدة عن الإنصاف لم تكتب ببصيرة بل ولابقلم عالم ذي ورع ونهية بصير بقوله تعالى :

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا

ولقد اندفع بما أوتيه من قوة وجراءة الطعن فلم يسلم منه خيار الصحابة ولا أكابر التابعين، ولا رجال ثقات تلقت عنهم الأمة هذا الدين المتين، وبهم تعرفت هذا السبيل المستبين .

[سورة الإسراء آية٣٦]

أولئك الذين آتاهم الله العلم والحكمة وعلمهم مما يشاء :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾

إنا لانلومه في اعتقاده والذب عن مذهبه ولكننا ننكر عليه غلوه وتنطعه وثلبه :

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾

ولئن طعن في أهل الحق والاستقامة من الأمة المحمدية (الإباضية المحقة) فإن الشمس

[الأنعام آية ٩٠]

[المائدة آية ٧٧]

لاتنالها أيدي المتطاولين . ولقد صبروا لنكبات الدهر،وتحملوا من غوائله في سبيل الحق ما لم يخفه التاريخ،وإن جهله أو تجاهله المبطلون . طالما نشروا العدل بحضرموت ، ونثر فيها أئمة الحق لؤلؤ الحكمة ، وبثوا فيها روح الإسلام الطاهرة المطهرة ، ولاغرابة إن برز منها اليوم من ينكر حقائق التاريخ،ويحاول أن ينالهم بسباب ومثالب بإغراء الرجيم ، إن من الغرابة أن لايفرق من يعد نفسه في مصاف العلماء المؤلفين بين أهل الاستقامة ـــ الإباضية المحقة ـــ وبين الصفرية والأزارقة والنجدات والعجاردة الفرق التي ضلت عن سواء السبيل ودنست سماحة الإسلام كغيرها من الطوائف التي عدلت عن الصراط السوي وقد مضت إلى باريها ولقيت جزاء عملها فأصبحت أثراً

بعد عين ، فبدت الغزالة من بين تلك الغيوم المتلبدة والسحب المكفهرة والثلوج المتراكمة :

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

لقد هام المتنطعون في شأن أهل الحق في كل واد ، وحاولوا كل ما حول لهم العناد ، وأعرضوا عن استبانة الحق من طرقه والولوج إليه من أبوابه ، ولو فعلوا لأدركوا ما يردعهم عن ركوب متون الجهالة ، وتناءوا عن ارتكاب الشطط والرذالة .

مغبة الفتن

كانت الأمة الإسلامية عند انتشار الفتن وظهور الأهواء والبدع المضلة،في تطاحن واصطدام،وتلاعن واحتدام،فوضع كثير أحاديث ضد اضدادهم وتزلفوا إلى الأمراء

[الرعد آية ١٧]

والرؤساء بها واستكثروا بها من الأشياع طلباً للرياسة وانتصاراً على أخصامهم حتى مكنوا العدو المشترك من رقابهم،فعاث في الأرض فساداً وهتك حرماً ونهب وسلب وخرب بلاداً فالتاريخ كفيل بحفظ وقائع المغوليين وعديد حروب الصليبيين وغيرهم مما لايحصى،فخلف من بعدهم خلف سلكوا مسلكهم واقتفوا أثرهم باتخاذ تلك الموضوعات حججاً يستدلون بها،وسلاحاً يكافحون به،ومرتزقاً يستجدون به ويستدرون ما في أيدي الكبراء، غير أنه لم يقل أحد من العلماء المحققين أن أحداً من الخوارج وَلو من غلاتهم وَضع حديثاً عن رسول الله ﷺ،وما قاله بعض ضعفاء العلم منشؤه الهوى،ولست أدافع عن الخوارج الصفرية والأزارقة ومن سلك سبيلهم من المضلين

ولكن المنصف يقول الحق ولو في أعدائه وهم أبعد الناس كما صرح به رجال النقد عن الكذب وكيف لاوهم يعتقدون أن الكبيرة كفر، بل محاربوهم وأخصامهم من غير الإباضية ربما وضعوا أحاديث للإغراء على الفتك بهم، كما قال المبرد في الكامل عند الكلام على المهلب بن أبي صفرة وقتالهم .

أما الإباضية فهم أبعد الأمة قاطبة عن وضع الحديث، بل بلغ من ورعهم أنهم لايردون الحديث كلما بداهم احتمال صحته ولو بوجه التأويل حتى لايقعوا في تسفيه الحق ورد كلام سيد الخلق ، فهم يقبلون الحديث ممن شهر بالصدق ولو من غير مذهبهم وما اتخذوا الخلاف يوماً ما مطية لرفض الحديث اللهم إلا على من كان كاذباً أو اتهم به أو ضعفت الثقة

به أو يبيح الكذب لفائدة مذهبه كما يذكر عن الشيعة أو نحو ذلك، نعم مجتهدونا يعرضون الأحاديث على كتاب الله فما وجدوه موافقاً قبلوه وما خالف ردوه ، وهذا لعمر الحق هو الإنصاف الذي ما بعده . وذلك لما رواه الأئمة رحمهم الله في كتاب (المسند الصحيح) عن أبي عبيدة مسلم بن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال «إنكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فعني وما خالفه فليس عني » وهذا من أعلام نبوته .

وقد روى عند غيرنا بطرق ضعيفة بالمعنى لا باللفظ، حتى قال بعض بسقوط هذا الحديث بتلك الطرق الضعيفة إذ لم يبلغهم سواها ، ولكن ثبوته بهذا السند العالي قاض بصحته

أخرج الطبراني في كبيره من حديث الوضين عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه مرفوعاً «سئلت اليهود عن موسى فأكثروا فيه وزادوا فيه ونقصوا حتى كفروا ، وسئلت النصارى عن عيسى فأكثروا فيه وزادوا ونقصوا حتى كفروا ، وإنه ستفشو عني أحاديث فما أتاكم من حديثي فاقرؤا كتاب الله واعتبروا فما وافق كتاب الله فأنا قلته وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله » .

قال السخاوي وقد سئل شيخنا عن هذا الحديث فقال إنه جاء من طرق لاتخلو من مقال،قال،وقد جمع طرقه البيهقي في كتاب المدخل .

وروايته من طريق ذلك الإسناد الذهبي إسناد الأئمة الأعلام كاف في صحته وقبوله

وتأييد السند الضعيف بالصحيح دليل صحته كما في محله وهــو قــانون لمقبــول الحـديث ومردوده .

ابتلاء الامة بواضعي الحديث

ابتـليت الأمة الإسـلامية حيناً من الدهر بثـلة من الزنـادقة والملاحدة والذين أضمروا المجوسيـة وغـيرهـا من مـلل الكفـر وأظهروا الإسلام وغلاة كثيرة من المذاهب من الشيعة والمـرجئـة وغـيرهـم من واضـعي الأحاديث، فارتبك الأمر واختلط الحابل بالنابل في ذلك العصر ، فتجرد رجال إلى تحرير الصحيح من الفـاسد وانتقاء اللب من القشر واستخلاص الزبدَة من المخيض،وبالغ بعض فرد على كثـير من مخالفيه كل ما جاء به صحيحاً أو سقيماً وبعض قبـل تحسـيناً للظن الغث والسمـين، وبعض تحرى الطريقـة المثلى جهد استطـاعته

فقبل ما كان صدقاً ولو من مناوئيه ورد ما كان باطلاً ولو من محبيه والحق لايعدم أنصاراً :

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ

وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ

وقد تكلم ذلك الغالي في الإمام الأعظم الثقة الكامل الذي أجمعت الأمة على توثيقه :

ما يضر البحر أمسى زاخراً
إن رمى فيه غلام بحجر

الإمام ابوالشعثاء

إن الإمام جابر بن زيد فقيه التابعين ومفتي البصرة وإمام أهل الاستقامة أشهر من أن

[سورة النحل آية ١٢٨]

[سورة العنكبوت آية ٦٩]

يترجم له،وكفى له شرفاً شهادة شيخه الأعظم حبر الأمة رضي الله عنه إذ قال : عجباً لأهل العراق كيف يحتاجون إلينا وعندهم جابر بن زيد لو قصدوا نحوه لوسعهم علماً عما في كتاب الله ، وقد استوفينا الكلام عليه في كتابنا (ذكرى أبي الشعثاء)(١).

مضت الأمة جمعاء على توثيقه والعمل بروايته أفيضره من جاء قادحاً في أواخر أيامها ، وقد روى «لاتقوم الساعة حتى يلعن آخر هذه الأمة أولها » أو كما قال ﷺ واللعن قد يكون باللفظ وقد يكون بالفعل كالبعد عن المقام الفخيم والتبرؤ من الوصف الحميد .

أخذ خلق كثير من الإمام ووردت الأمة بواسطتهم من مناهله العذبة أحاديث سيد الوجود ولم تصعد روحه إلى عليين حتى ترك

(١) لا يُعرف مصير هذا الكتاب، ولعله فُقد. (م.ن)

ماجمعه من علمي الكتاب والسنة في ديوانه العظيم الذي هو أول سفر دُوِّنَ في الأمة الإسلامية وأول كتاب جمع ما بلغ لمؤلفه من حديث سيد الأولين والآخرين عنده من لقيه من خيار الصحابة أهل بدر وغيرهم،إذ قال «أدركت سبعين رجلاً من أهل بدر فحويت ما عندهم إلا البحر الزاخر » ويعني به ابن عباس رضي الله عنهما .

ولاغرابة إذا قلنا هو صاحب الفضل الأعظم على كتاب الأمة في ذلك العصر بديوانه ولو لم يصل إلينا ولم يكتب عنه إلا صاحب كشف الظنون وأصحابنا،وذهب فيما ذهبت فيه تلك المكتبة الجليلة البغدادية التي نالها من الحرق والغرق ما نالها مما ينكسف له البال وتدمع له العين الجمود .

ولقد نقل عنه كثير من مفسري تلك العصور الأولى كابن جرير الطبري وأبي حيان وغيرهم ولا التفات إلى ما يقوله الغالون المتعصبون .

أما ما ينسبه الذين لايتبينون من تكفير أصحابنا لأهل الكبائر فإنهم لم يدركوا اصطلاحهم وإنما هو متقولون ان الكفر عندنا قسمان: كفر هو الشرك وهو كل ما أخل بالاعتقاديات، كوصف الله تعالى بما لايليق بكماله، وكرد المنصوص عليه في كتبه تعالى وإنكار ما علم من الدين بالضرورة وأمثالها .

وكفر هو الفسق والنفاق بالنعمة وهو ما يطلق عليه أهل الحديث الكفر دون الكفر وهو كل كبيرة مخلة بما سوى الاعتقاد من ترك أوامر الله أو اقتراف نواهيه وذلك لقوله تعالى :

اما شاكرا وإما كفورا.
[الانسان آية ٣]

ولما روى من الأحاديث الصحيحة عنه ﷺ وآله فيها لفظ الكفر ولايصح حمل الكفر على الشرك في حق من صدر منه ذلك من المؤمنين، وذلك كقوله «كفر بكم رغبتكم عن آبائكم» وقوله «لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» وقوله «لاتجادلوا في القرآن فإن جدالاً فيه كفر» وقوله: «من قال لأخيه يا كافر، فقال له أنت الكافر، فقد باء أحدهم بالكفر والبادئ أظلم».

زلة الخوارج

في أمثالها لا يصح حمله على المستحل لأن كفره بالاستحلال، ولا على معنى رجعت نقيصته عليه لأخيه لأنه

تأويل غير صحيح ولاحمله على الخوارج الذين يحكمون بشرك المؤمنين وهم الصفرية والأزارقةلأنهم ليسوا بمشركين لخطأهم في التأويل كسائر أهل البدع كما أثبت النووي وغيزه ولا على معنى أن ذلك يؤول به إلى الكفر لعدم استقامة المعنى ولاعلى معنى رجع عليه تكفيره،وكل هذه الوجوه ناشئة عن تخصيص الكفر بالشرك مع أنه لامحيص من حمل الكفر على كفر النعمة وهو المعبر عنه أيضاً عندنا بكفر النفاق،وعند المذاهب الأربعة بالفسق،وأرى أن الخلاف بين الأمة في الاصطلاحات ليس إلا ، سوى الأزارقة والصفرية فعندهم الكبائر كلها شرك . لذلك استحلوا الدماء والأموال والسبي لأبناء المسلمين ونسائهم وخربوا البلدان بوقائعهم

التاريخية المهولة .

وكان خطبهم جللاً ومحنتهم بلاء . ولقد بالغوا في العبادة والتقوى حتى أفنوا المخ والعظم خوف الوقوع في الشرك الذي هو كل كبيرة وعند بعضهم كل ذنب سواءً كبيرة أم صغيرة فوقعوا فيما فروا منه بحكمهم على الموحدين بالشرك خطأً في التأويل فحرموا ما أحل الله بين المسلمين من التناكح والتوارث وأمثالهما من الأحكام .

عموا عن منهج الحق بتأويل قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام :

وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا

[سورة نوح آية ٢٧]

الناشئ منه عن طول الاختبار لقومه بمكثه

الطويل فيهم حتى لم يرج منهم خيراً فكل مولد لهم لايبلغ التمييز حتى يندمج في تلك الأوساط الشريرة الفاجرة ويؤول إلى كفران نعم الله وعصيان نبيه ﷺ ، ولم يكن دعاؤه إلا بعد أن أخبره الله بأنه لايولد منهم مؤمن عندما أراد الله إنفاذ حكمه الأزلي وقضائه الذي لامرد له، كما أخطأوا في تأويل قوله سبحانه :

﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾

[سورة الأنعام آية ١٢١]

فظنوا أن آكلَ الميتة مشرك فقاسوا عليه ما سوى ذلك من الكبائر .

والآية تخبر بشرك من استحل الميتة وقد حرمها الله عز شأنه . ولقد مشوا في حالك ذلك التأويل الباطل فكان ما كان مما تقشعر

منه الجلود بل وتشيب لهوله الرؤوس،وأغلب أخصامهم لم يقفوا عند الحد بل تجاوزوا إلى أن بلغوا إلى ما صيرهم في موقفهم من النهب والسلبت والسبي لما عصمه الله عن ذلك بالإقرار له بالوحدانية وبالاعتراف لرسوله عليه الصلاة والسلام بالرسالة،ولله الأمر من قبل ومن بعد .

وكل ما كتبه الكاتبون وزعموه من الأقوال مخالفة لهذا،فباطل يتحملون إثمه يوم تكون كل نفس فيه بما كسبت رهينة،ولم يستحل أهل الاستقامة في يوم من التاريخ ولا في كتاب من كتبهم قطرة من الدم لموحد،بل الدماء من أصعب الصعب عندهم إلا بحقها من قتل نفس ظلماً وزنى بعد إحصان وارتداد بعد إيمان .

هم أشد الناس ورعاً وأبعدهم عن الفحشاء ولو تعامى عن ذلك المتعصبون، إنه من اعتقادنا أن الشتم ليس بعبادة ، وما فائدة شتم الناس يا ترى أعبادة ؟. فالله لايعبد بالشتم، أم معصية فأهل الورع لا يتعمدون ارتكابها.

وفد الاصحاب الى عمر بن عبدالعزيز

أولا يرى إلى ما كان يرتكب من لعن أبي الحسن على المنابر ولما أبطله عمر بن عبد العزيز حمد له أصحابنا ذلك وقد وفد إليه وفد منهم لما ولي الخلافة وفاوضوه في أمر الأمة حينئذ، فقبل منهم وقبلوا منه إلا في أمر الفتنة الواقعة بين الصحابة قال فيها «تلك دماء طهرت منها سيوفنا أفلا نطهر منها ألسنتنا » وقد قبل الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي رحمه الله قوله، وتوقف الشراة عن قتاله

والخوارج لعدله واستقامته . ألم يبلغك يا ابن الحضـــارم هـذا أم لم يقنعك إلا مـا يـلائم غرضك .

إنك تعـلم أن الولايـة والبراءة حكمـان واجبـان على كل مســلم كما أثبته في كتابك (النصائح الكافية) ينطبقان على كل فرد من البشر غير المعصوم وهم الأنبياء والرسـل، وهما ثابتان، من الكتاب والسنة، بل هما من أركان الدين عندنا وعندكم وعند الإماميـة فيما أظن، هلا كفاك الكف عن مسئلة الصحابة وعدم الخوض فيما قد مضـوا إلى الله، المحسـن منهـم والمسيء، بل جعلت لعن أضداد أبي الحسن بني أمية قبل لعن اليهود . وهذا منك منتهى الغلو الذي لايوصف به مسلم .

كفى للمرء خروجاً من عهــدة التكليف

أن يتـــبرأ من مستـــوجب البراءة ويتـــولى مستوجب الولاية وليس عليـه بعد ذلك من مطـــلب.

استدللت على الطعن في الإباضية بكـلام ابن بطوطة مع أنه خطأ هائل حمله عليـه تعصبـه كـما حملك، وأمـلاه عليـه هـواه كـما أمـلاه عليك، وظنـنـت أنـكـك أصبـت هـدفـاً وصادفت فخرا (١).

مقاصد الاستعمار واستقلال عمان

الواجب على من كان مسـلماً أن لايبادر بالحكم على الأمة بعمل أفراد منها فإنه ﷺ قال: «أكذب الناس من يهجو قبيلة بأسرها» أو كما قال.

إن ابن بطوطة صادف تولي بني نبهان الحكم وهم ليســوا لــه أهــلاً تغلبــاً فــأفســدوا وأجترحوا السيئات واقترفوا المنهيـات فكيف

(١) راجع تحفة الأعيان في تاريخ عمان لنور الدين السالمي.

تؤخذ الأمة بجريرتهم وقد تولى أمر عمان أئمة عدول صـــالحون لايخـافون في الله لومة لائم، يقيمون الحدود وطالما امتدت أشعة عدلهم إلى أرض أجدادك وأذاقوهم طعم السعادة والحرية ونعيم الاطمئنان والرفاهية .

إليك بعض ما قاله أحد أئمة الحضارمة .
أبو إسحاق إبراهيم بن قيس الحضرمي رحمه الله في ديوانه السيف النقاد :

وأين الالى أن خوطبوا عن دقائق
من العلم أنبوا سائليهم وسارعوا
نقـلت لها هم في شبـام ومنهـم
بميسفـعـــة قـوم حوتهـم ميــافع
وفي هيفن منهــم أنـاس ومنهـم
بذي صبح حيث الرضى والصمادع

ومنهم بوادي (حضرموت) جماعة

وأرض عمـان سيـلهـم ثم دافع

وفي قدم والغـرب منهـم وفارس

نعـــم وخـــوارزم كرام أراوع

فقالت وبيت الله يا صاح قد سلا

فؤادي لقول منك والأذن سامع

ولكـن عـرفني على أي مذهـب

هم إذهم حصن من الجور مانع

فقلت على دين ابن وهب وجابر

لقد وجدوا والكل منهم مسارع

الى طاعة الرحمن يهدي الى الهدى

ويـأبى الردى والضـيم لله طائع

وقال :

كأني بها يوم الإياب وقد رسى

ليبعثهـا من القضـاة الحضـارم

كأني بها قد قلدت أمر دينها
إمام رضى ترتاب منه الأشائم

والضمير في بها يعود إلى الأقيال المذكورة قبل،ولئن تسوحت في بعض أقطارهم المحتلة ورأيت فيها شيئاً من المنكرات فقد عمت بلواهم سائر أقطار الإسلام بالاحتلال الأجنبي الذي من جملة مساعيه بث المنكرات والفحشاء،لإفساد أخلاق الأمم وإضعاف مبادئها في أنفسها،حتى تقدر على استبعادها وامتلاك ناصيتها ، ولا إخال أن هذا خاف عن أحد من الناس مهما كانت معارفه ومهما قل إطلاعه ، ورغم ذلك فقد أقام الأصحاب إمام عدل داخل البلاد وتخلوا عن الحكم الأجنبي واستقلوا بحكم سيوفهم فأقاموا منار الهدى بين

تلك الربوع العامرة بالإيمان والتقوى الذي قلما يوجد عند غيرهم ، وأنت لو أنصفت لشهدت بذلك . وقد قال ﷺ وآله «تحروا الصدق وإن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة » في رواية ابن أبي الدنيا وفي رواية أخرى بزيادة «واجتنبوا الكذب وإن رأيتم فيه النجاة فإن فيه الهلكة » .

وقد مر علينا أن المصائب المحيطة بالأمة الإسلامية التي جرها الاحتلال الأجنبي وهو أعظم بلاء نتيجة ما ارتكبته من الفتن في بعضها حتى انحلت رابطتها وفشلت وذهب ريحها وقد شاهدنا جميعاً أطوار الاحتلال وتدرجه إلى إفساد الأمة ومسخ محاسنها .

فالعاقل إذا شاهد شيئاً من الموبقات لايتخذها ذريعة إلى طعن قلب الأمة والحكم

على المـــاضي بـالحاضر أو بما يقوله المتصبون أخصاماً .

إن من أكبر المعرَّات أن يجد المسلم كثيراً من تاريخ المسلمين في الكتب الأجنبية محكياً حسب الوقائع، مجرداً من كل حشوء بخلافه في غالب كتب المسلمين فإنه كاد يكون حشواً كله، بمـا يضـمنــه الكــاتبـون من موحيـات التعصب والحقد والحسـد والبغضـاء وخفض منـازل بعضهـم بعضـاً غير مبالين آناء الليل وأطراف النهار :

وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ

[سورة آل عمران الآية ١٠٣]

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[سورة الأنفال الآية ١]

لو اطلعت على بعض ما كتبه الأجانب عن أصحابنا الذين أنكرت أن يكون لهم أقل جميل، وأنت مشارك لهم في توحيد الله وتجمعك وإياهم كلمة الإسلام، وما كتبه المنصفون المتجردون من التحيز عساك أن تتعظ وترتدع عن ارتكاب ذلك الشطط المشين .

نقل شيئاً كثيراً من ذلك العلامة الأمير شكيب أرسلان ولو أنه ارتكب بعض هفوات لا عن عمد، بل عن حسن نية فيما يظهر . نقل مايخلد له ذكراً عاطراً على صفحات التاريخ من حياة أئمتهم وأبطالهم وجليل أعمالهم في تعاليقه على حاضر العالم الإسلامي .

ولست أحاول في هذه العجالة غير إيقافك على بعض ما حواه كتابك من الغشم والتنطع والإسـراف في الطعن رجماً بالغيب ، ولست بمضـطـر إلى جمع الصـفحـات البيضـاء للأصحاب رحمهم الله في أشهر .

وليس يصـح في الأذهـان شيء
إذا احتـاج النهار إلى دليل

ابوالحسن اصحاب النهروان

فحـاسب نفسك قبل أن تحاسب وارجع عن باطلك قبل أن تباغت،وكفى غواية طعنك فيمن مدحهـم أبو الحسن وتندَّم على قتـلهم وهـم أهـل النهـروان،وقد سمـاهم إخواناً بقوله «إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم » وما استباح لهم مالا ولا حكم بكفرهم،ذكر ذلك ابن تيمية وغيره . تندم وبكى طويلاً . وهـم أنصاره في كل موطن من مواطن قتاله وما خرجوا عنه إلا

نكراناً لقبوله «التحكيم فيما وقع الإجماع عليه وهو إمامته » ولم يخرجوا تبعاً لهواهم ولقد بالغتم دون غيركم معشر الروافض في الكذب على رسول الله فوضعتم أحاديث في الطعن في هؤلاء تناقلها بعض الرواة بدون تحر في ذلك .

ما صدق حديث المارقة

أما حديث المارقة فقد رواه أصحابنا في المسند الصحيح من طريق أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنهم قال : سمعت رسول الله ﷺ وآله يقول «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يقرؤون القرآن ولايتجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية » . الحديث وذكر في باب علماء السوء وهو إشارة إلى أنهم علماء السوء وإن اختصوا بالعبادة ،وذكر في

البخـــاري سبب هذا الحديث أن أبا سعيد
الخدري قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ وآله
وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل
من بني تميم فقـال يا رسـول الله أعدل فقـال
ويـلك ومن يعـدل إذا لم أعـدل قد خبت
وخسرت إن لم أكن أعدل فقال عمر يا رسول
الله ائذن لي فأضرب عنقه فقال دعه فإن له
أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ثم
ساق الحديث مع زيادة في آخره واختلاف في
بعض الألفاظ وذكر في آخره أن آتيهم رجل
أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ومثل
البضعـة تدردر ويخرجون على حين فرقة من
الناس،قال أبو سعيد إني سمعت هذا الحديث
من رســول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي
طـالب قـاتلهـم وأنا معـه فأمر بذلك الرجل

فالتمس فأتى به حتى نظرت إليه على نعت النبي ﷺ الذي نعته . وهذه الزيادة لم يروها جابر بن زيد وهو قد سمع الحديث من أبي سعيد أيضاً أتراه يأخذ عن أبي سعيد ويسمع منه ذلك ثم يتولى من كان هذا وصفه ؟ (كلا) بل هو أورع من ذلك وقد أدرك عصر الصحابة وسمع من كثير منهم . وإني لأنزه البخاري عن الكذب لكنه يأخذ عن أهل الأهواء كالشيعة والمرجئة ثقة بهم وإن لهم أهواء لايؤمنون معها على نقل يخالف ما هم فيه . اهـ نور الدين السالمي رحمه الله .

تأسفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عليهم حين سمعت بقتلهم وسمع أبو العقيصة الإمام أبا الحسن يقول يوم قتالهم : والله إن كنتم لأصحاب الدار يوم الدار وأصحاب

القرآن اذ تلي .

وتطبيق الحديث على هؤلاء خطأ كبير فإن الحديث ينطبق بحسب ظاهره على قوم أظهروا الإسلام . أو لايرى إلى قوله يقرؤون القرآن ولايتجاوز حناجرهم أو على قوم لم يكن لهم رسوخ في الدين فيكون المعنى لايتعظون بالقرآن ولاتستقر أحكامه في قلوبهم على ماظهر لي . وقوله يمرقون من الدين نص في أنهم مشركون ولايوجد عاقل يحكم على النهروان بالشرك ولو نقموا عليهم خروجهم عن الإمام علي ولكن الرافضية هي والله أشد بلاء على الأمة الإسلامية من كل بدعة وضلالة،ولو كان لأهلها نور الإيمان لما ظهر منهم ذلك الغلو الذي أدى بهم إلى أن يحكموا على سائر المسلمين بالنجاسة،حتى منع عندهم مصافحة من ليس منهم إلا بيد ملفوفة كما ذكر من

اجتمع بعلمائهم،وإلى التفضيل على أبي بكر مع ما روى وأجمعت عليه الأمة من قوله ﷺ (أفضل هذه الأمة بعدي أبو بكر) .

إن تطبيق الحديث وما على بابه على الأصحاب ظلم وخطأ في التأويل وهو عندنا في علماء السوء كما تقدم وفي كل من خالف عمله كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وآله ويمكن أن يحمل (الحديث) على غلاة الخوارج من الأزارقة والصفرية القائلين بشرك أهل الكبائر فإنهم يجتهدون في التحرز والعبادة لئلا يقعوا في الشرك ، ويؤيده ما روى عن رسول الله ﷺ يقول وهو يشير بيده إلى العراق «يخرج منه قوم يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية » وحمله على كل من خالف الحق في عبادته أظهر، كما يدل

ظاهر قوله يخرج فيكم قوم إلخ . فإن لفظ (في) تدل على أن الخروج بمعنى الوجود بعد العدم والمعنى يوجد فيكم قوم هذا وصفهم . اهـ نور الدين .

وعندي أن أحاديث المروق تنطبق تمام الانطباق على الذين يبالغون في تعظيم البشر، غير الأنبياء والرسل،إلى درجة مساواتهم بهم قبل غيرهم ، بله المؤلهين فإنهم مشركون بالاجماع.

حكم متخذ الدين إله

وكذا على الذين اتخذوا الدين آلة لاقتناص النفوس وابتزاز أموال الناس فإنه يتواتر عنهم من اجهاد النفس في العباد خدعة وتغريراً،والاسترسال في الأذكار بكيفية يحقر الإنسان عبادته إمام عبادتهم،وإذا ما خلالهم الجو ونَّموا النفوس الضعيفة ارتكبوا من الفحشاء ما يعجز عن وصفه أي واصف

ويقصر عن تصويره أكبر شاعر . وقد شاهدنا بعضـــاً من هؤلاء وليست تـلك الأحاديث بخاصة بقوم دون غيرهـم ، لذا قال أهل الحق إنها واردة في حق من يخالف بعمله كتاب الله وسنة سيد الخلق وتأويلها في حق أهل النهروان أو الأصحاب تأويل باطل يتردى بصاحبه في قعر الجحيم إن لم يتب،وقانا الله سوء الخاتمة، بربك إذا كان المستقيمون اعتقاداً وقولاً وعملاً مارقين فمن هو المسلم يا ترى ؟ هي العماية والخذلان يذران النفوس في ظلمات وضـلال يخال لها أنها في مهيع الرشـاد والكمال،إن ما نقـلته عن ابن حجر لدليل قاطع عليك قد سلمته،ولاصحة لما قيل أن الخوارج إذا هووا أمراً صيروه حديثاً،فإنه دس من بعض لأنه لم يظهر ذلك ولو من الغـلاة منهـم مع خبثهـم

وضلالهم وشدتهم على الأمة ، ولو صح لأظهرها المنتقدون، ولو صح لكان لأصحاب أول من يتبرأ منهم فإنهم لايخافون في الله لومة لائم والتاريخ كفيل بذلك وقد تبرؤا من كثير كانوا منهم في أكبر منزلة وأعظم اعتبار لما أحدثوه، فمنهم نافع بن الأزرق وعطية الكوفي أول من تكلم في القدر،ونجدة بن عامر وأضرابهم كثير تبرأ منهم المسلمون وأخرجوهم من بينهم لأحداثهم .

وأنى لك أن تقطع ــ إلا من طريق التأويل الفاسد ــ بأن أهل النهروان البررة مارقون بنص الأحاديث الصحيحة وقد سماهم الإمام علي نفسه خيار الأمة،وقال له رجل هؤلاء الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعاً،قال:ويحك

(أولئك أهل التوراة والإنجيل) .

كيف يكونون مارقين وفيهم كثير من الصحابة وقال بقولهم رجال من كبار التابعين وأئمة العلم ولولا اليد الحديدية الأموية لكان لهم شأن (ولنا عود) .

وأما ما زعمت من شتم أهل الاستقامة لأبي الحسن علي وأبنائه،فمحض اختلاف وقد سبق لك أن الشتم ليس بعبادة وإنما يوجد شتم من بعض العلماء الغلاة وهم لايخلو منهم مذهب من المذاهب،وحسبك ما مر من قول الإمام أبي عبيدة مسلم وهو القدوة،وقبوله لقول الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله «تلك دماء طهرت منها سيوفنا أفلانطهر منها ألسنتنا » فإذا كان الإمام بهذه المثابة فلا عبرة بمن غلا وشتم من الاتباع ، وأراك تطالع تلك

الكتب لا لتظفر بالحقيقة واللب وإنما لالتماس منفذ إلى الطعن .

تحري الأصحاب

نعم الأصحاب يتحرون تطبيق حكمي الولاية والبراءة لاتشهياً وهما ينطبقان على كل فرد مهما عظمت منزلته ما لم يكن من المعصومين ، ولامعصوم إلا النبي أو الرسول . أما الصحابة فلهم مزية عظيمة وهي مزية الصحبة والذب عن أفضل الخلق وإراقة دمائهم في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى،فيختار الكف عن تلك الحوادث المشؤومة التي لايطالعها العاقل الراسخ إلا وتنفس الصعداء ولكن نفذ حكم الله ابتلاء للمؤمنين :

لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ

[سورة الأنفال الآية ٤٢]

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ

[سورة محمد الآية ٣١]

لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ

[سورة الملك الآية ٢]

وأيضاً لاغبار على من صرح بخطأ المخطئ منهم بدون الشتم والثلب بعد التثبيت من ذلك والتبيين وإن أمسك لعموم الأحاديث الواردة فيهم وترك الأمر إلى الله فهو محسن .

أما إباضية المغرب فكلهم من أهل الاستقامة أخذوا الدين عن سلمة بن سعد وحملة العلم بعده أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني وعبد الرحمن بن رستم الفارسي وأبي داود القبلي وابي درار الغدامسي

رضي الله عنهم وأماتنا على طريقتهم وما كان لهم في التاريخ ارتباط بالصفرية في حين من الدهر، اللهم إلا عند رضوخهم للأئمة في القرن الثاني إلى أن انقرضت إمامتهم بتكالب أخصامهم عليهم في أواخر القرن الثالث .

والصفرية الذين كانوا بالمغرب أخذوا عن عكرمة مولى ابن عباس وهؤلاء لم تستمر لهم حياة ولابقيت لهم بقية . تأمل تهجمك كيف أوقعك في الخطأ المبين وحاد بك عن قيل الحق وقذف بك في الهوى تهوي بك الريح في مكان سحيق .

ما أبعد فكرك عن التاريخ وما أقصاك عن الإنصاف وما أشدك استسلاماً لرسن التعصب المذموم .

تلك البقية الباقية بالمغرب الأوسط هي

التي تمثـل الآن التقوى والصـدق في الأقوال والأفعال والاستقامة على شرعة الله ومنهاجه . يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصـــلاة ويـؤتون الزكاة . ولم تزل تكـافح الأجنبي عن استقـلالها الداخلي البـاقي لها بفضل جهودها ومحافظتها على تقاليدها الخاصة بها هي المتمسكة إلى الآن بالدين الإسلامي بالمعنى الكامل، اعتقاداً وقولاً وعملاً بدون أن تستهـويها الزخارف الخلابة، والمدنيـة الخداعة، وتؤثر عليها عوامل الضغط المتناهية، وضروب الإرهـاق التي تنصب عـليهـا، في مالها وبدنها وعرضها من الأيدي الأجنبية الخبيثة ، أو تفتنها في دينهـا تلك السياسـة الخرقاء التي مسخت الإسلام في نفوس أبنائه في كثير من الأقطار وصـيرتها ضده وهي لاتشعر تقاومه بالإلحاد

حيناً وبالتجاهر بالفحشاء والمنكر طوراً وبموالاتهم آونة . والله سبحانه يقول :

لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ

[سورة آل عمران الآية ٢٨]

سير أهل الاستقامة بالمغرب

لم تزل تلك على منهج السلف الصالح تقبل الحق ممن جاء به وتقوله حيثما كانت ترد الباطل على من جاء به كما رده عليك هذا الفرد منها يا ابن الحضارم . ولم تزل محافظة على ما كان عليه أسلافك في القرون الأولى مما أخذوه عن أبي الشعثاء وعبد الله ابن إباض وعبد الله بن وهب وهؤلاء أخذوه عن كبار الصحابة كابن عباس وعمار بن ياسر وعبد الله بن

مسعود وأم المؤمنين عائشة والإمام أبي الحسن علي نفسه . وكتبهم مشحونة بروايته الصحيحة والاستدلال بها،ما فرطوا فيه كما فرط الذين اخذوا لعنهُ سنّة واستباحوا دماء ذريته الشريفة،سلالة الرسول ولا الذين حكموا عليهم بالشرك كما قدمنا ، ولا أفرطوا فيه كالذين اصطفوه على خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين أبي بكر الصديق ، أو قالوا بأولية نبوته ، أو تعمقوا في الغلو حتى اتخذوه إلها تعالى عما يقول المبطلون ، فصدق في الطرفين قوله ﷺ (هلك فيك طائفتان مفرطة ومفرطة) ولم يكن يوماً من الأصحاب شتم له أو طعن،اللهم إلا من بعض الغلاة وهم أفذاذ لايخلو منهم وسط ولاشعب ومنشأه الخطأ في الاجتهاد إذ كان في العصور الأولى تأثير في

النفوس من جراء قتل أهل النهر خيار أصحابه الذين أراقوا دماءهم في سبيل تأييده وإنهماك الأكثرية في تأويل أحاديث المروق فيهم صحيحها ومكذوبها، فاستفحل الشر، وكثر الطعن، واستبيح قتلهم ظلماً وعدواناً وسبيهم وهم مسلمون خيار معصومة دماؤهم وأموالهم وذريتهم ونساؤهم بالإسلام ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم ـــ إنا لله وإنا إليه راجعون .

بهتان عظيم ينسب للأصحاب رحمهم الله . الاشتغال بالطعن سواء في خطبهم أو منابرهم أو مجالسهم العلمية ، بله المبتدئين ولامؤرخيهم إلا ما يذكرونه من إنكار التحكيم لأحقيه إمامة أبي الحسن ، افتراء مبين إن قلت الإباضية إلى الآن لايصححون الأنكحة إلا مع البراءة من عثمان وعلي وذلك منك خبث

جسيم . تعال نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين . اللهم إلا إن كان ذلك من الذين هلكوا معك بالتفريط فالله أعلم ولا أبهت أحداً كائناً من كان .

هذه والله أعظم فرية يستدل بها العاقل على مقدارالرجل في العلم والعقل وعلى مركزه من التعصب وفساد العقيدة،إذ لو كانت صحيحة لما سوغ الكذب لتأييد مذهبه وهذا أكبر شاهد على ما ذكره الكاتبون من استعمال أولئك الكذب سلاحاً ضد من يرمونه،واتخاذه مطية إلى كل غرض يستهدفونه ، وهذاالافتراءالواضح الذي لاينطلي على أي إنسان كاف في الرد ولاسيما الذين يعرفون الإباضية ويطالعون كتبهم ويجتمعون بعلمائهم وما بلغ آذاننا أن أحداً من العلماء مهما كانت

مرتبته من العلم أفتى بهذا ، ولاذكر في كتاب من كتب الفقه الكثيرة العد التي لاتستوفي إحصاء ولو وقع لعد هراء واعتبر سخافة ومكاء .

ولو صح ذلك لمنع المتولي من إعطاء وليته لأحد من أهل البراءة لأن الناس في الحق سواءلافرق فيه بين الموافق والمخالف كيف وقد قال ﷺ «المؤمنون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم » .

تتمة في الكلام عن الخروج إجمالاً

إن لفظ الخوارج الذي طَنطن به الكاتبون ولوكة المنتقدون جمع خارجة أي طائفة خارجة يطلق على الطوائف الخارجة إلى الجهاد أوالخارجة عن الإمام الجائر فتكون مدحاً وديناً . وعلى الخارجة عن الحق أو الإمام

المسقط فتكون ذماً وضلالاً . وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة منها ما ورد بالتواتر في وجوب الخروج عن الأئمة لأن الإسلام دين الله الذي لايدان إلابه فلايقام بالظلم والعصيان لله تعالى وقد امر بالكون مع الصادقين في قوله سبحانه :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ

[سورةالتوبة الآية ١١٩]

وأمر بالإخلاص في العمل له في قوله :

وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ

[سورة البينة الآية ٥]

وأمر بموالاة المؤمنين بعضهم لبعض في قوله عز شأنه :

وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ

[سورة التوبة الآية ٧١]

ولو عمل المسلمون بهذا لما انتشر فيهم ما نشره الأمراء الجائرون من البدع والمعاصي .

الخروج عن الظلمة

فإذا ظهرت المعاصي وانتهاك الحرمات في الأموال أو الأبدان أو الدين ولم تقم الحدود وترفع المظالم وجب على أهل العلم وهم ، العين الحارسة للدين والأمة والناقدة لكل حيف المؤيدة لكل منقبة . إن ينكروا المنكر فإن أبى الإمام خلعوه . وإن ناصبهم قاتلوه ما وجدوا لذلك قوة . وعلى هذا مضى الصحابة ولذلك أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد »[1] ؟

(١) مسند الربيع بن حبيب الفراهيدي.

وقـوله : لاطــاعــة لمخــلوق في معصيــة الخالق[١] .

وقوله[٢] : استقيموا لقريش ما استقاموا لكــم فـإن لم يستقيمـوا لكــم فضـعوا سـيــوفكــم على عواتقكــم ثم أبيـدوا خضراءهم .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ[٣] إذ قال يا رسول الله أرأيت إن كان علينا أمراء لايستنون بسنتك ولايأخذون بأمرك فما تأمر في أمرهم قال : لاطاعة لمن لم يطع الله عز وجل .

وقوله :[٤] لابن مسعـود سيلي أموركم

(١) في المسند الصحيح للربيع بن حبيب.
(٢) في الجامع الصغير ومسندا احمد عن ثوبان وعن الطبراني عن النعمان بن بشير.
(٣) في مسند أحمد عن أنس.
(٤) في صحيح ابن ماجة عن ابن مسعود.

بعدي رجال يطفئون السنة بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها . فقال يا رسول الله وإن أدركتهم كيف أفعل قال لاطاعة لمن عصى الله .

وأمثال هذه كثير جداً . وما وقعتا(الجمل) و(صفين)إلا نتيجة الخروج ـــ وقد خرج سعيد بن جبير على بني أمية وهو من كبار علماء التابعين وأمثال هذه الوقائع من فحول الرجال . بيد أنه لايعتد بكل خروج فإن الخروج عن الإمام المقسط بغي والفئة الباغية تقاتل بحكم الله سبحانه والخروج عن الحق ضلال كما خرج الصفرية والأزارقة ومن نحا نحوهم بعد أن كانوا من جملة المسلمين المحقين .

ولما ظهرت مقالة نافع بن الأزرق وأصحابه

وهي الحكم بكفر الشرك على أهل التوحيد طردهم الأصحاب وتبرؤوا منهم وانفردوا بالتسمية بالخوارج[1] وكذا عبد الله بن الصفار ونجدة بن عامر وعطية الكوفي الذي هو أول من تكلم في القدر وهكذا ما ظهر منهم فرد بمقالة شنيعة أو طائفة تبرؤوا منهم وأقصوهم عنهم إلا أن تابوا واستقاموا .

وقد نسب إلى أولي الاستقامة في الكامل والملل والنحل وغيرها من الكتب ما لم يكونوا في شيء منه بل يتبرؤون منه إما عن عمد أو عدم التحري ولكن الذين يتبعون أهواءهم يقفون عندهم ويستدلون بها بدون أن يتبينوا ضدها في كتبنا،وهو الحق وذلك كقتل عبد

(١) فصدق عليهم حديث الخوارج كلاب النار لأنهم يستحلون الدماء والأموال بالمعصية ـ إن صح عنه ﷺ.

الله بن خباب بن الإرث رضي الله عنه . جاهدت الأمة في نفسها حيناً من الدهر في غير عدو وانتصبت لبعضها لأمر أراده الله وإليه المرجع والمصير .

والتاريخ مملوء بوقائع الخروج عن الأمراء من سائر المذاهب .

وكثيراً ما اتخذت الأدمغة السياسية هذه المسألة آلة لنيل أغراضها في أطوار الأمة وأقطارها فليطالع المنصفون تاريخ الأمم برائد العقل يقفون على العجب العجاب إلى عصرنا هذا منهم المحق ومنهم المبطل سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

إن الكوارث الحاضرة والنكبات المتوالية على المسلمين جعلت كل حر يستخدم فكره في الفحص عن وسائل التخلص ويتمنى أن

يلتف المسلمون حول بعضهم بعضاً وتجتمع كلمتهم ويحصل الاحترام والتأييد فيما بينهم .

إن الهيئات الحالية الكافية في اتعاظهم وإدراك مغبة التفريق إن لم ينتبهوا إلى مضمون قوله تعالى :

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران ١٠٣]

فإن ذلك خطاب لكل شخص يؤمن بالله ويرجو اليوم الآخر ويعلم أن كلمة التوحيد هي الجامع الأعظم بين المحمديين والرابطة المتينة . وإن بدا لأحد أن ينتقد على أخيه أو يستوضحه فليكن بالتي هي أحسن فإن الجفاء والتنطع والغلو لاتجلب إلا فتنة ولاتزيد النفوس إلا تباعداً ولا العدو إلا تمكناً من الغوارب

وامتطاء المتون .

فليتنبه الغافلون فإن الخطب شديد ووراءه يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت ـــ يوم يجعل الولدان شيباً :

﴿ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [النحل ١١١]

ولانريد أن نجازي العلامة الحضرمي من جنس عمله عملاً بقوله سبحانه :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل ١٢٥]

إن أوجزنا الكلام اليوم في هذه المواضيع الخطيرة وسنعود إليها بأوسع بإذن الله فنميط السدل عن تاريخ أصحابنا .

رحمهم الله ونكشط الرين الذي ألصقه أصحاب المقاصد السيئة . ونوضح ما أنبهم على المنصفين . والله أسأله الإمداد والتأييد وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

فهرس الكتاب: